الفصل السادس

الذئب في الدين والأدب والموروث الشعبي الطبي والخرافي

الذئب في الدين

القرآن الكريم

ذئب يوسف:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن، عندما يحاول المرء أن يجد في الفكر الديني الإسلامي ما يشير إلى الذئب، هو قوله تعالى، في الحديث عن إخوة يوسف عليه السلام:

﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يوسف: ١٤].

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧].

وحين ننبش عما دار حول هذا من أقوال، نصادف رواية الجاحظ:

"قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسفَ: رجحون، فقيل له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، وإنما كذبوا على الذئب، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٨]. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف"[1].

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٥، ص٤٧٧.

وهكذا، دخل ذئب يوسف في التراث الأدبي للعرب، فقال أحدهم:

الذئـــبُ لا يُؤْمَـــــن لكنّـــــه عليـه فـــي يوسُـفَ مكـذوبُ[1]

وتقول رواية في قصة يوسف[2]:

"إن إخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئباً، ولطّخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثم جاؤوا به إلى أبيهم، وقالوا: يا أبانا! هذا الذئب الذي يَحُلّ بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذي فجَعَنا في أخينا، لانشك في ذلك، وهذا دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه! فأطلقوه، فبصبص له بذنبه، وأقبل يدنو منه، فقال له يعقوب: ادن، فدنا، حتى ألصق خدّه بفَخِذه، فقال: أيها الذئب! لم فجعتني في ولدي، وأورثتني بعده حزنا طويلا؟ ثم قال: اللهم، أنطقه، فأنطقه الله تعالى، فقال: والذي اصطفاك نبيّاً، ما أكلت لحمه، ولا مزّقت جلدَه، ولا نتفت شعره، والله! ما لي بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته، فلا أدري أحيّ هو أم ميّت؟ فاصطادني ولدك، وأوثقوني، وأحضروني، وإن لحوم الأنبياء حرّمت علينا وعلى جميع الوحوش، والله! لا أقمت في بلاد يفعل فيها أولاد الأنبياء بالوحوش هكذا؛ فأطلقه يعقوب، وقال لبنيه: لقد أتيتم بالحُجّة على أنفسكم، هذا ذئب خرج يتتبع ذِمام أخيه، وأنتم ضيّعتم أخاكم، وعلمتم أن الذئب بريء مما جئتم به، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"[3].

---

(١) العسكري: جمهرة الأمثال، ج١، ص٤٦٥.

(٢) لا يوجد في كتب التفسير ما يوثق هذه القصة؛ ولعلها مما جاء من أكاذيب الإسرائيليات وخرافاتها، وإنما أتينا بها لبيان كيفية تدخل الفكر الشعبي في صياغة القصص حول الذئب.

(٣) محمد حسين العاملي، المخلاة (القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧هـ) ص١٦٠. ذمام: عهد وذِمّة.

وهكذا، صارت الحكاية عن "ذئب يوسف"، فقال أبو عبدالله بن الحجاج الكاتب:

قد أَذْنَبَ القَوْمُ وأُلزِمْتَه كأنهم أولادُ يعقوبِ
إذ جَعَلوا يوسُفَ في جُبِّه وأَوْقَعوا الذَّنْب على الذيب[1]

الحديث الشريف

الذئب يتكلّم:

"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السَّبُع، يوم ليس لها راعٍ غيري، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم!! فقال رسول الله ﷺ: فإني أؤمن بذلك أنا وأبوبكر وعمر"[2].

وهناك حديث الراعي:

"عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما راعٍ يرعى بالحَرَّة، إذا انتهز الذئبُ شاةً، فتبعه الراعي، فحال بينه وبينها، فأقبل الذئب على الراعي، فقال: يا راعي! ألا تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مُقْعٍ على ذَنَبه يكلمني بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرَّتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق. فساق الراعي شاءه، حتى أتى إلى المدينة، فزَواها إلى زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فأخبره بما

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص٤٦.

(٢) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق الشيخ أحمد عمر هاشم، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج٥، ١٣، ص١٠. وانظر: مجدي محمد الشهاوي، قصص الطير والحيوان من الحديث والقرآن (القاهرة: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٩٣م) ص٦٩. وانظر، ص ص ٦٧-٦٨. يوم السبع: يوم القيامة. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، "السبع".

قال الذئب. فقال رسول الله ﷺ: صدق الراعي، ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده، لاتقوم الساعة حتى يكلّم السباع الإنس، وحتى يكلّم الرجل شِراكَ نَعله، ويحدثه سوطه، ويخبره بما أحدث أهله بعده"[١].

الدعوة بالذئب:

ويؤيد فهمنا للسبع (الكلب) بأنه الذئب في دعوة النبي ﷺ، أنه: "أتته ﷺ ليلى بنت الخطيم بن عدي بن عمرو، .... وهي أخت قيس بن الخطيم الشاعر، وهو ﷺ مُولٍّ ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، وهو غافل، فقال: من هذا؟ أكله الأَسْوَد. وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك أعرض نفسي عليك لتتزوجني، فقال: قد فعلت، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله، فقالوا: بئس ما صنعت! أنت امرأة غيرى، ورسول الله صاحب نساء، وتغارين عليه، فيدعو عليك، فاستقيليه نفسك، ففعلت، فأقالها. فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثب عليها ذئب، فأكل بعضها، لقوله ﷺ، فماتت"[٢].

ويتضح لنا بهذا أن المقصود بقوله ﷺ: الأسود: أي، الذئب.

واسترسالاً مع الذئب في التراث العربي الإسلامي، فإن دعوة الرسول ﷺ على عتيبة بن أبي لهب، وكان يُكَنى أبا واسع، وكان شديد الأذى للنبي، فدعا النبي ﷺ

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت) ج٣، ص٥٠٤. وانظر، عبداللطيف عاشور، قصص الحيوان في الحديث النبوي (القاهرة: دار الطلائع، ١٩٩٢م)، ص٦٣-٦٦. الحرة: أرض بظاهر المدينة، بها حجارة سود كثيرة. أقعى الكلب: جلس على استه، وسط ذراعيه، مفترشا رجليه، وناصبا يديه. زواها: جمعها. شراك نعله: خيوط الخُفّ الذي يرتديه.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٩٦.

اللهَ بأن يسلّط عليه "كلباً" عقوراً، وهو ما اتضح أنه يعني سبعاً، أي ذئباً. قال ﷺ: "اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك". وخرج أبو واسع في سفر له، ومعه عدة من قومه، فخطا إليه السبع من بينهم حتى أكله"[١]. وها قد نَصَّ على أن المقصود بـ"الكلب" السبع، أي: الذئب، وسنرى في قصة حسان ذكر "الليث" و"الكلب" معاً، وفيها بيَّن حسان حركة اختتال الذئب.

أما الحديث الآخر، مما له علاقة بما نحن فيه، فهو أن الرسول ﷺ: "مر بجارية سوداء وهي تُرْقِص صبيّاً لها، وتقول:

ذؤالٌ! يابـــنَ القـــوم! يا ذؤالـــهْ يَمشـــي النَّطـــا ويَجْلِـــس الهَبَنْقَعَـــهْ

فقال عليه الصلاة والسلام: لا تقولي ذؤال، فإنه شر السباع"[٢].

وحيث إن الذئب شر السباع، فقد نقل الجاحظ أنه: "أمرنا بقتل.... الذئب"[٣].

الذئب في الفقه

نجاسة الذئب:

الجلد: ولأن الذئب سبع، فقد اختلف الفقهاء في حكم الصلاة في جلود السباع، فمالك يكره الصلاة في جلود السباع، وإن دُبغت، ويمنع حتى من بيعها. وأما الشافعي، فيرى أن الدّبغ يطهِّر جلود الحيوان المأكول وغير المأكول، إلا الكلب والخنزير وما تولّد منهما[٤].

---

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج١، ص٤٢٩.

(٢) ابن منظور، اللسان، "نطا"، "نال". ذؤال: ترخيم ذؤالة، أي الذئب. نطا: نطا الظبي، خطا. الهبنقعة: الحمقى.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٣٠٧. ولم يرد هذا الأمر في الأحاديث الصحيحة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "سبع".

الخطفة: النهي عن أكل ما اقتطع الذئب من البهيمة وهي حية.

وفي الحديث أيضاً:

"أن النبي ﷺ نهى عن المجثّمة، والخَطْفة: وهي ما اختطفه الذئب من أعضاء الشاة وهي حية من يد أو رجل.. والصيد حيّ؛ لأن كل ما أبين من حيّ، فهو ميّت. والمراد ما يُقطع من أعضاء الشاة"[١].

الذئب في الأدب

في الإســـلام

مكلم الذئب:

وقد قالوا: أنطق ذئب أُهبان بن أوس [٢].

وذكروا: أن الذئب كلم ثلاثة من الصحابة، هم: رافع بن عميرة. سلمة بن الأكوع. أهبان بن أوس [٣].

ويذكرون أن لرافع بن أبي رافع شعراً مشهوراً في تكليم الذئب له، يقول فيه:

فلمـــا أن سمعـــتُ الذئـــبَ نـــادى ... يُبَشِّرُنـــي بأحمـــدَ مـــن قريـــب

فألفيـــتُ النبـــيَّ يقـــول قـــولاً ... صَدوقـــاً ليس بالقـــول الكـــذوب[٤]

---

(١) المصدر نفسه، "خطف". وانظر: سورة المائدة، آية رقم (٣).

(٢) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، (مناقب الترك) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٩م)، ج ١، ص٣٢.

(٣) البستاني، دائرة المعارف، ج٨، ص٤٣٣.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج٧، ص ص٥٢٥-٥٢٦. وهو الأسلمي، من أسلم، من خزاعة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، "وبرة"، "يبن". وجاء في حاشية محقق الروض الأنف، ص٥٢٦: "وليس للقصة سند يُعتَدّ به، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمه أهل الحديث. ولا ريب في أنها أسطورة. شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت) ج١، ص ص٤٩٧-٤٩٨.

وترويه كتب الأدب على النحو التالي:

"ذئب أهبان يضرب مثلاً للشيء العجيب، وكلام ما لا يتكلم. ومن قصة أهبان ابن أوس (السلمي)، أنه كان في غنم له، فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أهبان، فأقعى الذئب، وقال له: أتنزع مني رزقاً رزقنيه الله! قال أهبان: فصفّقت بيدي تعجّباً، وقلت: والله ما رأيت، ولا سمعت أعجب من هذا! فقال: أتعجب من هذا، ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات، وأومأ بيده إلى أبيات المدينة، يحدّث بما كان ويكون، ويدعو إلى الله عباده! قال: فجئت إلى النبي ﷺ، وأخبرته بالقصة، وأسلمت. فكان يُقال: لأهبان: مُكَلّم الذئب، ولولده: بنو مكلّم الذئب، قال الشاعر:

إلى ابن مكلّم الذئب ابن أوس
رحلت غداً فكنت على أمان

وقال رزين العروضي، يهجو بعض ولد أهبان:

فكيف لو كلّم الليث الغضوب إذاً
تركتم الناس مأكولاً ومشرويا
هذا السنيديُّ لا أصل ولا طرف
يكلم الفيل تصعيداً وتصويباً[1]

ويروي الجاحظ أنه قال:

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم
فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا[2]

---

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ص٣٨٦-٣٨٧.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٢١٧.

والأبيات منسوبة لدعبل الخزاعي، في الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٩٠، كما أنها منسوبة لأبي سعد المخزومي، في ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ص٢٩٤-٢٩٥، ولعل هذا هو الصواب.

وذكره البحتري، فقال:

زَيْنٌ لمملكة ولم يعلم به
ذيب خزاعيٌّ الهوى والمحضر[١]

وقال المعري:

"ذئب يقتنص ظباءً، فيُفني السُّرْبَة بعد السربة، وكلما فرغ من ظبي أو ظبية، عادت بالقدرة إلى الحال المعهودة.... يقول: أنا الذئب الذي كلّم الأسلمي على عهد النبي ﷺ، كنت أقيم عشر ليالٍ أو أكثر، لا أقدر على العِكرشة ولا القُوَاع. وكنت إذا هممت بعَجِيٍّ المعيز، آسدَ الراعي عليَّ الكلاب، فرجعت إلى الصاحبة مخرَّق الإهاب.... وربما رُميت بالسِّروة، فَنَشِبَت في الأقراب، فأبيت ليلي لما بي، حتى تنتزعها السَّلقَة، وأنا بآخر النَّسيس، فلحقتني بركة محمد ﷺ"[٢].

تمويه مسيلمة الكذّاب:

ومّما يتعلق بالكذب والتزييف، ما ورد من تمويه مسيلمة الكذاب واحتياله، وادعائه المعجزات والآيات، إذ يقال: إنه "دعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله، فوجد أحدهما قد سقط في البئر، والآخر قد أكله الذئب"[٣].

ومن كلام علي ﷺ، في التمثيل بالذئب: "اختطافَ الذئب الأزل دامية المعزى"[٤].

---

(١) البحتري، ديوان البحتري، ج ٢، ص٩٥١.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبدالرحمن(القاهرة: دارالمعارف، ط٧، ١٩٨١م) ص٣٠٦. السربة: الجماعة من الظباء. العكرشة: أنثى الأرنب. القواع: ذكر الأرنب. العجي: ما قدامه. آسد: أغرى. السلقة: الذئبة. السروة: السهم القصير أو العريض النصل. الأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة. النسيس: غاية جهد الإنسان، وبقية الروح في الجسد.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٦، ص٩٣.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص٨٢.

دعوة النبي ﷺ على أبي واسع في شعر حسان:

يقول حسان بن ثابت في أبي واسع الذي دعا النبي ﷺ بأن يأكله "السبع" (الذئب):

سائِلْ بَني الأَشْعَرِ إن جِئْتَهم ... ما كان أنباءُ أبي واسِع
لا وَسَّعَ الله لـه قَبْرَه ... بل ضَيَّقَ الله على القاطِع
رِحْمَ نَبِيٍّ جَدُّهُ جَدُّهُ ... يَدْعو إلى نُورٍ هُدىً ساطِع
أَسْبَلَ بالحِجْرِ لِتَكْذِيبِه ... دُونَ قُرَيْشٍ نُهْزَةَ القَاذِع
فاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ مِنْه فَقَد ... بَيَّنَ للناظِرِ والسامِع
أَنْ سَلَّطَ اللهُ بِهِ كَلْبَهُ ... يَمْشي الهُوَينا مِشْيَةَ الخادِع
فالْتَهَمَ الرَّأْسَ بِيَافُوخِهِ ... والخَلْقَ مِنْه فَغْرَةَ الجائِع
أَسْلَمْتُمُوهُ وَهْوَ يَدْعُوكُمُ ... بالنَّسَبِ الأَدنى وبالجامِع
واللَّيْثُ يَعْلُوهُ بِأَنْيابِه ... مُنْعَفِراً وَسْطَ الدَّمِ الناقِع
لا يَرْفَعِ الرحمنُ مَصْرُوعَكُمْ ... ولا يُوَهِّنْ قُوَّةَ الصارِع
مَنْ يَرْجِعِ العامَ إلى أَهْلِه ... فما أَكِيلُ السَّبُعِ بالراجِع
قد كان فيه لَكُمُ عِبْرَةٌ ... للسَّيِّدِ المَتْبُوعِ والتابِع
مَنْ عَادَ فاللَّيْثُ لَهُ عائِدٌ ... أَعْظِمْ بِهِ مِنْ خَبَرٍ شائِع[1]

مطعم الذئب:

يقول الهمداني:

"لبني الحِمَاس، من بلحارث بن كعب... وادي مران...؛ بنو قُبَاث منهم،

---

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج١ ، ص٤٢٩. وانظر: الصفة "سيد"، اللسان، "سود".

وهم سادتهم وأشرافهم، منهم: محمد بن قُبَاث، مطعم الذئب، وله خبر عجيب"[١].

والحكاية عن رجل ، في الإسلام، كما يتبيّن من الخبر، وعن ناس ممن يسكن اليمن، من نواحي ما بين عدن وحضرموت، ولم يفصّل الهمداني فيما سمّاه: "خبر عجيب".

على أن التراث الشعبي في الجزيرة العربية، يذكر حكاية ذات رؤية مشابهة، باسم: "معشي الذيب"[٢].

التسمّي بـــ"الذئب":

سَطيح الكاهن (الذئبيّ): يدل التسمّي بالذئب على البعد الأسطوري، بل الطوطمي، في العقلية العربية قبل الإسلام بآماد بعيدة؛ فسَطيح الكاهن كان يُدعى: الذّئبيّ، نسبة إلى أحد أجداه المسمى: ذئب: إلا أن الشاعر نسبه إلى أمه في قوله:

وأمُّه من آل ذئب بن حَجَنْ[٣].

والذي، لا شك – يمتد في الزمن ليصل إلى تلك المرحلة السحيقة المرتبطة أيضاً بعبادة الحيوان، ومنها الذئب. وكان أحد الشعراء يدعى بابن الذئبة، نسبة إلى أمّه، واسمه ربيعة بن عبد ياليل[٤].

في الجاهلية

الذئب في الأساطير:

التخويف بالذئب: وكما اعتقدت شعوب العالم بأثر الذئب في حياتها العامة والخاصة، فخوفوا به الأطفال، وأرعبوا به الكبار، واتخذوه بركة وخشية، فعل العرب الشيء نفسه، ففي الجاهلية جاء في أمثالهم، قولهم: "لقد كنت وما أخشى

---

(١) أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م)، ص١٨٦ .

(٢) إبراهيم بن عبدالله اليوسف، قصة وأبيات(الرياض: مرام للطباعة، ط١، ١٤١٧هـ) ج١، ص١٣١ .

(٣) ابن منظور، اللسان، "سطح". وانظر، الزبيدي، التاج، "سطح".

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص٢٢٩ .

بالذئب". وهو مَثَل يقوله الرجل، يذل بعد العز، وأصله في الرجل يخرف، فيصير بمنزلة، فيفزع بمجيء الذئب"[١].

وفي نطاق الترويع بالذئب، قال كعب الأشقري، مشيراً إلى تخويف الأطفال به:

وما رُوِّعت بالذئب ولدانُ أهلِها ولا نَبحت إلاّ النُّجومَ كِلابُها[٢]

إذن، كان الذئب يُمثَّل على أنه قوة شريرة على الأطفال أن يتجنّبوها.

الاعتقاد في الذئب: ولقد اتَّخذ العرب من عصور بعيدة أجزاء من الذئب، لاعتقادهم بأثره السحري، يقول امرؤ القيس:

مُرَسَّعةٌ بين أرساغِه به عَسَم يَبتغي أرنبا

ليجعلَ في كفِّه كَعبَها حذار المنيّة أن يَعْطَبا

يريد: أنه يُتَداوى، ويُتَعَوَّذ بكعب الأرنب، حذر الموت والعطب، وكانوا يشدُّون في أوساطهم عظام الضبع والذئب، يتعوذون بها[٣]، يجعلونه في سير[٤].

وهكذا، كان يُوضع في عُنُق الصبيّ في الجاهلية تعاويذ وخَرَزاً، تبقى طول النهار، تضبطه من التعرّف والبعد عنك، خوفاً من الذئب عليه[٥].

---

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص١٨٢.

(٢) أبوبكر، محمد وأبو عثمان سعيد الخالديان، الأشباه والنظائر، تحقيق السيد محمد يوسف (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م) ج٢، ص١٨١.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص١٢٨. المرسعة: مثل المَعَاذة. الأرساغ: جمعُ رسْغ، وهو مفصل ما بين الكف والذراع. العسم: يُبْس في الرُّسغ واعوجاج.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبوزكريا، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح المفضليات، تحقيق: علي محمد البجاوي (القاهرة: دار نهضة، مصر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ج ١، ص ٦٨.

وهذه المعتقدات هي مما أبطله الإسلام ونهى عنه، ونوردها هنا كما جاءت في كتب التراث، من باب العلم والاطلاع فقط.

وسنقتصر في حديثنا عن موقع الذئب في الاعتقاد العربي على الإشارة إلى أن الأمثال العربية ربما حملت تفكيراً أسطورياً، تلاشت ظلاله من الأذهان، ويدلنا على هذا قصة المثل:

"من استرعى الذئب، ظلم".

أي: ظلم الغنم، ويجوز أن يراد: ظلم الذئب، حيث كلّفه ما ليس في طبعه، وهو مثل يضرب لمن يُوَلّي غير الأمين".

ومع أن الأمانة مسألة أخلاقية إنسانية، ذات علاقة دينية، فإنهم يروون في قصة المثل: أن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أن عامر بن عبيد بن وهيب تزوج صَعْبة بنت صيفي أخت أكثم، فولدت له بنين: ذئباً، وكلباً، وسبعاً، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب، وأغار على الأقياس — وهم قيس بن نوفل، وقيس بن وهبان، وقيس بن جابر — فأخذ أموالهم، وأغار بنو أسد على بني كلب — وهم بنو أختهم — فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالَهم حتى أفتدي بها بنيَّ من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فقال أبوه صيفي: يا بُنَيَّ! لا تفعل؛ فإن الكلب إنسان زهيد، إن دفعت إليه أموالهم، أمسكها، وإن دفعت إليه الأقياس، أخذ منهم الفداء، ولكن تجعل الأموال على يد الذئب، فإنه أمثل إخوته وأنبلهم، وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم، فمر الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على يد الذئب، والأقياس على يد الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب، فأخذ منه أموالهم، ثم قال لهم: إن شئتم جززت نواصيكم، وخليت سبيلكم، وذهبت بأموالكم، وخليتم سبيل أولادي، وذهبتم بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم فقال: من استرعى الذئب ظلم، وأطمع الكلب في الفداء، فطوَّلَ على الأقياس، فأتاه أكثم، فقال: إنك لفي أموال

بني أسد، وأهلُك في الهوان، ثم قال: نعيم كلبٍ في هوان أهله، فأرسلها مثلاً"[١].

لقد احتل الذئب في التراث الأدبي مكانة بارزة، وسيطر الاعتقاد في الذئب على تفكير كثير من الشعوب، فصوّروه في حفرياتهم، ورسموه على جدران معابدهم، وأصبح رمزاً لبعض القوميات في أعلامهم ومسكوكاتهم النقدية.

وليس بأيدينا، ونحن نتعامل مع الأساطير، إلا أن نشير إلى أن خرافة السِّمع أو العِسبار، المتولد عن اجتماع ضبع وذئب، ذات مغزًى أسطوري بعيد الأغوار، إذ هو يعود إلى المرحلة المبكرة من مراحل نشوء الأساطير، في ذلك الزمن الذي احتلت فيه الأنثى مكانة القداسة، والتي تتمثل في الحيوان الطوطم "الأم الكبرى" (الضبع)، ثم في قوة الذكورة المتمثلة في سلطة الأب (الذئب)، وكما هو متمثل في تماثيل الآلهة التي تجعل أجزاء الأنوثة وأجزاء الذكورة في جسد واحد. وقد رأينا أن السمع أو العسبار، حيوان صغير، هو القطة المتوحشة، أو في الحقيقة هو الوَشَق، وهما حيوانان من الحيوانات التي حظيت بمكانة قدسية في الأسطورة، وحسب أحد الافتراضات، فإن هذه المرحلة تعود إلى خمسين ألف سنة مضت[٢].

أما أسطورة الغول، أو الرجل الخرافي، أو ذلك المتذئّب، أو الذي لبس جلد الذئب، فهو أيضا ذو علاقة بالسابق، حيث يلبس الساحر الرداء المقدس[٣].

ولسنا نجد في التراث العربي دلائل أخرى تخرج عن مثل هذا الترميز، ولا بقية باقية عن مثل تلك الاعتقادات عند الآخرين، اللهم إلا إذا أخذنا أسماء الأعلام، كدليل شعائري، لأثر طقسي قديم، كما أومأنا سابقاً. أو كقولك: إن العَمَلّس كان رجلاً براً بأمّه، كان يجعلها على عاتقه، والعملس من أسماء الذئب[٤].

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص٣٠٢.

(٢) Michael Harrison, the Roots of witchcraft (London: Taindem, 1975), p. 65 – 72.

(٣) Ibid, p. 61 – 62.

(٤) الميداني، الدرة الفاخرة، ج ١، ص٨٢.

ولكن التسمية بالذئب: أسمائه وصفاته، تتجاوز أسماء الأعلام إلى أسماء الأماكن؛ وأسماء الأماكن ذات العلاقة بالذئب كثيرة في العالم، وبعضها كان ما يزال مزارات لصلة القديسين بالذئاب، حيث ارتبط اسم قديس ما بالذئب ولا يستبعد المرء مثل هذا الواقع فيما قبل الإسلام، فكثيرة هي الأماكن التي أُطلق عليها اسم الذئب، وذلك مثل:

الذئب: موضع في بلاد بني كلاب.

الذئبة: ماء لبني ربيعة[١].

فإذا أضفنا إلى هذا عبادة الذئب التي ربما وُجدت ذات يوم عند الوثنيين العرب الذين عبدوا الأحجار وبعض الحيوانات[٢] فإنه يمكن تصوّر عبادة الذئب كما يعكسها بعض أسمائه، فمن أسمائه "عوف"، ومن أسماء العرب "عبد عوف". أي: عبدالإله عوف: الذئب الذي كان صنماً.

و"ذو الذئبين"[٣] موضع عند النابغة الجعدي.

ولأول مرة في الشعر العربي نجد إشارة إلى أن العرب كانوا يتشاءمون بالذئب إذا مر عن يسارك، ويتفاءلون به إذا مر عن يمينك، وذلك مثلما يتشاءمون بالغربان؛ ولهذا، كثيراً ما كان يُجمع بينهما. ومن هنا: ارتبطت رؤية الذئب بيوم ظعن الأحبة، رمز الفراق الأدبي، يقول جران العود:

لَعَمْرُكَ إن الذئب يَوْمَ سَمَا لنا ... على حاجة من جَوَّة لصديق

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، "الذئب".

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ص١٧، ١٩، ٢٨٨، ج٨، ص٦٩١. وانظر، الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص١٤٧.

(٣) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص٦٢.

وهذا دَفْعٌ للتشاؤم فقط، بينما يستبطن ذلك البعد؛ لأنه يتحدث في القصيدة عن فراق محبوبته "حميدة"، ويقول:

وما كان ذئب سانِحٌ لِيَرُدُّني ولا الطيرُ في كَهْفٍ لهنّ نَعيق[1]

و"الطير" هنا، يعنون به الغربان.

ويبين الجمع بين الذئب والغراب في الرؤية التشاؤمية، قول أحدهم:

هذا أَحَقُّ منزل بتَرْكِ الذئبُ يَعوي والغراب يبكي[2]

وهم يَجمعون أيضاً بين الظباء والذئاب في التشاؤم، قال الصمة بن عبدالله القشيري:

ويوماً بقاع الأَخْرَبين جرى لنا بنَحْسٍ ظِباء الأخربين وذيبها[3]

ومن ثمَّ، فليس من تفسير لاعتقادهم بأنه:

"إذا دخل الظبي الحَرَم، كفّ عنه الذئب"[4].

إلا جعل الذئب قوة شريرة، تردعها قوة خيِّرة، أي: أنه هنا يمثِّل رمزاً من رموز الشر، في مقابل الخير التي تتمثل الآن في الظبي الذي يلجأ إلى الحرم. وهذا بالتأكيد ليس تصوّراً إسلامياً، وإنما هو تصور وثني سابق للإسلام.

نجد هذا الاعتقاد الوثني في جانبه الشرير، التشاؤم، في وصفهم للذئب بـ:

"اللّعين"[1].

---

(١) العود، ديوان جران العود، ص٥٣.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وآخر، القاهرة: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ج١، ص١٧١.

(٣) القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، ص٣٤.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ص١٣٩.

حتى قال الشماخ:

مكان الذئب للرجل اللعين [٢]

وذلك أنه: "يقال للذئب: لعين، وللرجل الطريد: لعين"[٣].

و"اللعين" ذو اعتبارات دينية، فالذئب مطرود - حسب التصور الوثني - من الرحمة، ومحرّم عليه دخول أماكنها المقدسة، أو الاقتراب منها.

فإذا تجاوزنا أسماء الأعلام، وأسماء الأماكن، يمكن أن نأخذ برواية بيت عبدة بن الطبيب التي تقول:

فيها الذئاب وفيها الأُسد مخدرةً ... من كلّ شيء يُرى فيها تَهاويلُ

والرواية المشهورة هي: فيها "الدَّجَاجُ".

وذلك في إشارة إلى أحد بيوت العبادة في الجاهلية، في قوله:

في كعبة شادَها بانٍ وزَيَّنها ... فيها ذبالٌ يُضيء الليلَ مفتول [٤]

والرواية المناسبة هي "فيها الذئاب"، لتناسق الذئاب والأسود.

وإحلال رواية مكان رواية مستساغ في التراث الشفوي، ولذلك، فإن رواية: "فيها الذئاب...."، تشير إلى تقديس الذئب، كما هو الحال في تقديس الأسد، فتصويرهما على جدران المعبد يعني أنهما حيوانان احتلا مكانة القداسة في تاريخ العرب القديم.

---

(١) الشماخ، ديوان الشماخ، ص٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، حاشية، ص٣٢٢.

(٣) أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م)، ج ٢، ص٢٥.

(٤) التبريزي، شرح المفضليات، ج ١، ص٥٢٩.

ومّما يدل على هذه المكانة الأسطورية التي احتلها الذئب في تاريخ العرب القديم، ذلك الاعتقاد الشعبي السائد بين الأعراب الذين:

"يزعمون أن الله تعالى ﷻ لم يدع ماكِسًا ظالما إلا أنزل به بَلِيَّة، وأنه مَسَخ منهم اثنين: ضبعاً وذئباً، فلهذه القرابة، تسافدا وتناجلا"[1].

وفي هذا الاعتقاد يقول الحكم بن عمرو البهراني:

إنّ ربي لما يَشاءُ قديرٌ ما لشيء أراده من مَفَرّ
مَسَخ الماكسين ضَبْعاً وذئباً فلهذا تناجلا أم عمرو [2]

إن هذا الاعتقاد الشعبي بين الأعراب، والذي صيغ على ما يظهر صياغة إسلامية، يعود إلى أزمنة غابرة، قد تعود إلى أول اصطدام حضاري بقيام الحركة التجارية في مناطق النفوذ التي احتكوا بها، كما تمتزج بذلك التصور الخاص باتصال الذئاب بالضباع، مما يفسر لنا أن اعتقادهم ذلك الذي أشرنا إليه في إنجاب السِّمع أو العِسبار، ذو ارتباط بالتأثير النفسي للحركة التجارية في المنطقة، والانتقال من المرحلة الرعوية إلى مرحلة تجارية.

أما الاعتقاد الآخر في الذئب، فهو أن:

"العَبور: تُسمى كلب الجُبار، يعنون:

الجوزاء؛ ويقال: إن الكلاب والذئاب تَكلُب عند طلوع الشِّعرى"[3].

أيضاً إحدى الأساطير التي تحاول تفسير حدوث ظاهرة طبيعية ما، بالعلاقة

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ص١٤٩-١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٠. أم عمرو: الضبع.

(٣) أبو محمد، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، الأنواء (حيدرآباد – الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٦م)، ص ٤٨.

بالأنواء، وهي مرحلة من مراحل التديُّن التي مَرّت بها البشرية، حيث احتلت فيها عبادة النجوم والكواكب مكانتها في التأريخ الإنساني، وأُرجعت الظواهر الطبيعية إلى حركاتها.

ويتعمق لنا الإحساس بمكانة الذئب الطقسية، ليس في علاقته بالمعابد، أو الأشكال (مَسَخ الماكِسِين ضبعاً وذئباً)، أو النجوم والكواكب، وإنما في الاعتقاد في ذات الذئب نفسه. وقد انقسم العرب على قسمين، فجماعة من العرب تتشاءم بالغراب، وتتيامن بالذئب؛ لأنه كسوبٌ.[١] وجماعة منهم ترى أنه:

"ليس في السباع أكسب منه، وهو لا يُتفاءل به، ويُتفاءل بالأسد".[٢]

ولعل تفسير هذا التباين في الموقفين، مع أن كليهما يَحمُدان في الذئب الكسب، يعود إلى منطقة كل منهما، فربما كان الأولون يتيامنون به؛ لأنهم يتشاءمون من الغراب، الذي يرونه تابعاً للذئب، ومقتفياً لأثره، وعالَةً على صيده، ولعل هؤلاء هم أهل البراري والصحارى؛ أما الآخرون، فلعلهم أصحاب المناطق الجبلية التي تحيا فيها الأسود عادة، ويكون الذئب فيها دخيلاً عليها، وغريباً عنها. والمهم أن كلا الفريقين رأى في الذئب إما تيمُّناً، وإما تشاؤماً، وهاتان الفكرتان مرتبطتان أصلاً باعتقاد بدائي سائد بين الشعوب في مراحلها الاجتماعية الأولى التي تُعيد الخير والشر إلى قوى غامضة مبعثها الآلهة، مما يؤكد لنا الافتراض أن الذئب قد احتل ذات يوم مكانة طقسية بين شعوب المنطقة أو عند قبائلها.

وينقل الدميري عن القزويني حكاية عن بعض الأعراب:

"أنه نزل وادياً بغنمه، فسلب سرحانٌ شاةً من غنمه، ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً: يا سرحان! رُدَّ عليه شاته، فجاء الذئب بالشاة، وتركها، وذهب"[٣].

---

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٤. وانظر في السانح والبارح، ابن منظور، اللسان، "سنح".

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص١٩. السرحان: الذئب.

وتفسر هذه الحكاية تلك الأساطير والأقاصيص الشعبية عن علاقة الجانّ بالذئب. ويمكن أن يكون زواج أم بلقيس نوعاً من تلك العلاقة، إذ يُروى:

"أن أم بلقيس ابنة الهدهاد امرأة من الجن، كان سبب تزويج الهدهاد ابن شرحبيل بها أنه خرج للصيد في جماعة من خدمه وخاصته، فرأى غزالاً يطرده ذئب، وقد أضافه إلى ضيق ليس للغزال منه متخلّص، فحمل الهدهاد بن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزال، وخلّص الغزال"[١].

ولكن الأدب الشعبي في الجزيرة العربية يتخذ موقفاً مغايراً، فهو يجعل الجن تخاف من الذئاب، وهناك حكايات عن أكل الذئاب الجن.[٢]

ومهما يكن، فمن المؤكد أن الحوت فهم فهماً خاطئاً عندما قال:

"ولم تنج الذئاب من ركوب الجن".

وذلك تعليقاً على رواية الأغاني:

"بينا نحن نسير بين أنحاء الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطيلس يقول..."[٣].

ذلك أنه فهم أن "أطيلس"، تعني صغير الذئب. وليس الأمر كذلك، وإنما هو معنى استعاري، يعني رجلاً رثّ الحال، بالي الثياب، كأنه في حالة ذلك الذئب الأطلس، الذي طالما وُصف عندهم بالشقاء.

---

(١) عبدالملك بن قريب الأصمعي، تاريخ الملوك الأولية، تحقيق: محمد حسن آل ياسين (بغداد: المكتبة العلمية، ١٩٥٩م)، ص٧٨.

(٢) عبد العزيز السواط، هل تأكل الذئاب الشياطين. جريدة عُكاظ، س٣٥، ع ١٠١٦٠ (الخميس ٢٢ ذي الحجة ١٤١٤ هـ / ٢ يونيو ١٩٩٤)، ص٢٢.

(٣) سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ط٢، ١٩٧٩م) ص٣١٥.

أما التفكير الأسطوري الذي ربما عاد إلى الجاهلية، ولكنه حُرِّف في الإسلام، فهو القول:

إن " جبريل ﷺ يعيد طفلين أكلهما الذئب".[١]

فالتفكير الديني الإسلامي لا يقول بهذا، وإنما هو تفكير شعبي أحل جبريل محل آلهة الخير في الجاهلية، بينما بقي الذئب رمزاً من رموز آلهة الشر.

ومما قد يكون ذا علاقة بالأساطير المتعلقة بالذئب ما رواه الأصمعي عن خلف الأحمر، من أنه روى قول الجعدي:

زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إذا أَشْفَقَ أن يَلْتَبِسْنَ بالغَنَمِ

وقد روى الأصمعي عن خلف، تفسيره لذلك البيت:

" كان أبوعروة السباع يصيح بالسبع، وقد احتمل الشاة، فيسقط، فيموت، فيُشَقّ بطنه، فيُوجَد فؤاده قد انخلع".[٢]

وأكثر المعاني المرتبطة بالسبع وعلاقة الشاة خاصةٌ بالذئب.

ولهذا التأثير الطقسي للذئب، اعتقد العرب في أن السنة المجدبة هي بلاء حَلّ بالأرض، فانتشرت فيها الضباع والذئاب، يقول جرير:

يَأوِي إليكُم بلا مَنٍّ ولا جَحَدٍ مَن سَاقَهُ السَّنَةُ الحَصَّاءُ وَالذِّيبُ

ويقولون لذلك:

" أكلتنا الضبعُ:

يريدون: أن الناس إذا أجدبوا، ضعفوا عن الانبعاث، وسقطت قواهم، فعاثت فيهم الضباع والذئاب، فأكلتهم. قال الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ إمَّا كُنتَ ذا نَفَرٍ فَإنَّ قَومِيَ لَمَ تَأكُلهُمُ الضَّبُعُ

---

(١) مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات (بيروت: دار الطليعة، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٢٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٨٥. وانظر، ابن منظور، اللسان، "عرا".

أي: أن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب". (١)

ومن المظاهر الرائعة في التفكير الأسطوري عند العرب ، تعريف أبي عبيدة معمر بن المثنى لـ "يوم السبع" الوارد في الحديث الشريف على لسان ذئب:

" ..... من لها يوم السبع".

فقد عرَّفه بأنه:

" عيد كان لهم في الجاهلية، يشتغلون فيه بأكلهم ولعبهم، فيجيء الذئب، فيأخذها". (٢)

وهو طقس أسطوري نجد له مثيلاً عند قبائل الهنود الحمر فيما يعرف باحتفالات "الكلوكوانه the klukwana"(٣). وذلك تكريماً للإله الهاساس Ha-sass. ويبدو أن أبا عبيدة نقل الصورة دون تفاصيل، إذ لعل الجاهليين كانوا يقيمون طقوس عبادة لآلهتهم، في احتفال بهيج طيلة النهار، ثم عندما يأتي المساء، الوقت المعتاد لخروج الذئاب، يقدمون القرابين والأضحيات للآلهة، تاركيها في العراء، فتأتي الذئاب وتأكلها، مشاركة منها لتلك الآلهة؛ ولأنهم بذلك يدفعون عنهم الأرواح الشريرة التي تحملها الذئاب، فالذئب رمز الشرّ.

وإذا لم نكن على علم بعلاقة بعض أسماء الذئب وصفاته بالأساطير والمعتقدات، فمثلاً أوس من أسماء الذئب، وهناك قبيلة الأوس من الأزد، فإن العَملَّس من صفاته، وهي صفة مأخوذة من العَملسَة: وهي السرعة، ولكن يقال

---

(١) الأصبهاني، الدرة الفاخرة، ج١، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) أبوعبيد، عبدالله بن عبدالعزيز، البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) "سبع".

أما شارحو الحديث، كما رأينا، فيرون أن يوم السبع: يوم القيامة.

(٣) Diana Landau, Wolf, (KentucKy: The Nature Co., 1933). p. 162.

أيضاً إن : العَمَلّس : كان رجلاً يَراً بأمه حتى كان يحملها على عاتقه". [١]

الطب الشعبي

فإذا انتقلنا إلى التفكير الشعبي، وجدنا ممارسات شبيهة بتلك الممارسات عند شعوب العالم الأخرى، وهي لا شك ممارسات قديمة، أخذت تتكيف مع أزمانها، إلا أن جذورها السحرية واحدة، وهي الاعتقاد في أن عضواً من أعضاء الذئب، أو قطعة منه، ذات مفعول سحري يدفع الشر والبلاء، أو يجلب الضرر والخراب، وقد صاحبت هذه الاعتقادات الإنسان منذ فجر تأريخه، عندما كان السحر يقوم بدور الدين، وكان الساحر بديل الكاهن والعرَّاف.

خواصه

واهتمامنا هنا بهذه المعتقدات يستند إلى أن كتب التراث سجلتها، لا على أساس أنها معتقدات لدى العامة فحسب، بل على أنها مواد أدبية تحتل منزلة مماثلة لأي معتقد شعائري يقع خارج النصوص الشرعية، ولكنه من الموضوعات التي جرت عُرفاً وتقليداً، فعلى سبيل المثال يذكر ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ما يأتي :

" قالوا: والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان، أبح الذئب صوت ذلك الإنسان". [٢]

ويضيف قائلاً :

" قالوا: والفرس إذا وطئ أثر الذئب، ثَقُلت قائمته التي وطِئ بها". [٣]

وقال أبو حيان التوحيدي (ت٤٠٣هـ):

---

(١) الأصبهاني، الدرة الفاخرة، ج١، ص٨١.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

"كل شاة يتناول الذئب من لحمها، يكون لحمها حلواً لذيذاً، وكل جزّة صوف تهيأ من الشاة التي تناول الذئب منها، قَمِل الثوب المعمول منها من قِبَل سُمّ أسنانه"[١].

وفي المصايد والمطارد لكشاجم (ت٣٥٨هـ):

زمكه

زمكه ينفع القولنج

كبده

كبد الذئب تُيَبَّس، وتُدق، ويُسقى منها من اعتلت كبده بالورم،

بشراب حلو، إن لم يكن محموماً،

فإن كان محموماً، فبماء بارد

لحمه

لحمه ينفع من وجع الذبحة[٢]

ويستمر الاعتقاد في خواص الذئب في التراث الأدبي، فيحدثنا القزويني (٦٨٢هـ) في كتابه عجائب المخلوقات بالآتي:

رأسه

يعلق في برج الحمام، فلا يقربه السَّنَوْر ولا ما يؤذي الحمام.

إذا دُفن في زريبة، تمرض غنمها وتموت.

نابه

من استصحبه، يدفع عنه قوة النبيذ، ولا يسكره.

---

(١) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص١٧١.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ص ١٠٥-١٠٦.

لو عُلّق نابُه على الفرس، سبق الخيل.

عظم ساقـــه

يُحرق، فيَهرب من دخانه الفأر.

كعبـــه

يُشدّ على ساق الماشي، فلا يتعب من السير.

يُشَدّ على سيئ الخُلُق، فتوسع أخلاقه.

كعبـــه الأيمـــن

من استصحبه، يَغلب في مخاصمة الرجال.

كعبـــه الأيســـر

من استصحبه، يَغلب في مخاصمة النساء.

من استصحبه، يغلب عند السلاطين.

يُعلق على الرمح في الحرب، فتَنفر الخيل منه.[1]

ويذكر النويري (ت ٧٣٣ هـ)، في كتابه، نهاية الأرب، بعض معتقداتهم، فيقول:

جلده

إذا اجتمـــع جلـــد شـــــاة

مـــع جـــلد ذئـــب، تَمَعَّـــط

جلـــــد الشـــــــــاة.[2]

وفي كتاب: الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي (ت٩١١هـ)، نجد التالي:

---

(١) أبو عبدالله، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٣، ١٣٦٧هـ/١٩٦٥م) ص ٢٣٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص ص٢٧١-٢٧٢.

قلبـه

تأخـذ قلـب الذئـب، وتضعـه علـى قلـب نائـم،
فإنـه يتكلـم بمـا فـي قلبـه مـن الأسـرار[١]

وقال الدميري (ت٨٠٨هـ):

إذا بُخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بهاالنساء، تشققت.

وقال السيوطي في كتاب الرحمة في الطب والحكمة:

إذا أُخـذ قلـب النسـر، وجُعـل فـي جلـد الذئب، وعلـق علـى شخـص، كـان مهابـاً عنـد النـاس، مَقضـي الحوائـج[٢].

وإضافة إلى هذه ، فقد ذكروا منها أيضاً:

أمعـاؤه

قال أبو حيان التوحيدي:

" الذئب إذا هيِّء من مِعاه وَتَر، وهيِّء من معى الشاة وتر، ثم علّقا بآلات الملاهي، ثم ضُرب بهما، صوَّت المعمول من الذئب، وخَرِس الوتر المعمول من الشاة"[٣].

---

(١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة (بيروت: دار الرائد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ص ٧٣-٧٤، ٩٤، ٩٠، ١٦٨، ١٩٩، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٣٠٣، ٣٠٧-٣٠٨، ٣١٠، ٣٦١-٣٦٣ وعلينا أن نلاحظ أن كل هذه الوصفات لا أساس لها من شرع أو عقل، ولم تثبتها الأبحاث الطبية الحديثة، وهي لا تستند إلى شيء علمي.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص٣٦٣.

(٣) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص١٧١.

وقال النويري:

إذا جُمـع بـين وتر عُمل من
أمعـاء ذئب ، وبـين
أوتـار عُملت من أمعـاء
الغـنم، وضـُرب بهـا
لا يُسـمع لهـا صـوت[١]

بولـه

قال كشاجم:

إن بالـت المـرأة علـى بولـه لـم تحبـل[٢]

وقال القزويني:

إذا بالت المرأة على بول الذئب، لا تحبل أبداً"[٣].

خرؤه أو زبله

قال كشاجم:

خرؤه الذي يقـع على الشوك، ينفـع مـن وجـع القولنج لمـن شربه. إن طُلـي البطـن بـه مـن خـارج، نفـع أيضـاً لا يؤخـذ منـه مـا وقـع على الأرض، فـإن ذلـك يقتـل[٤]

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ص١٠٥-١٠٦ .

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥ .

(٤) كشاجم ، المصايد والمطارد، ص ١٠٦ .

وقال القزويني:

يُسقى منه صاحب القولنج، يبرأ في الحال[١].

وقال الدميري:

يُعمل تمثال ذئب من نحاس، ويحشى من خرء الذئب، ويدفن في أي موضع أردت، فإن الذئاب تَهرب من ذلك الموضع[٢].

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

إن بُخر موضع بزبل الذئب، اجتمع إليه الفأر[٣].

كما قال في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

تأخذ زبل الذئب، وتُبخر به المكان، فإن الفئران تنفر من رائحته.

يُؤخذ من خُرء الكلاب، وخُرء الذئاب، وينقعها في بول بني آدم سبعة أيام، ثم يرش به متاع الجنان، أي: الطرقات التي يدخلها، فلا يقرب الذئب تلك السانية، ولا ذلك الموضع الذي يرش فيه، فيهرب من رائحته[٤].

خصيتـــه

قال كشاجم:

إذا احتملت المرأة خصيته اليمنى مسحوقة في صوفة، انقطعت عنها شهوة النكاح[٥].

---

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص ص ٣٦، ٣٦٤

(٣) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م) ص٤٤٥.

(٤) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص ٧٣، ٧٤، ٩٠، ٩٤، ١٦٨، ١٩٩.

(٥) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٠٦.

وقال القزويني :

تؤكل مشوية ، تهيج الباءة.

من أخذها معه يأتي النساء كثيراً[١].

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن أخذت امرأة خصيته اليمنى ، ودفّأتها بزيت ، وغمست فيه صوفة ، وحملتها ، ذهبت عنها شهوة الجماع[٢].

كما قال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أخذت خصية الذئب ، وسحقتها بزيت ، وطليت بها الذكر ، وجامعت بها المرأة ، لم يقدر عليها أحد سواك[٣]

دمه

قال القزويني :

يُخلط بدهن الجَوز ، ويقطر في الأذن ، يُزيل الطرش.

إذا سقيت المرأة منه ، لا تحبل أبداً[٤].

وقال السيوطي في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أُضيف دم الذئب لدهن الجوز ، وقطر في أذن الأصم برئ.

إذا اكتُحل به ، أسقط الشعرة من العين[٥].

---

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص٢٣٥ .

(٢) السيوطي ، الكنز المدفون والفلك المشحون ، ص ٤٤٥ .

(٣) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص٣٦١ .

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص٢٣٥ .

(٥) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص١٩٩ .

ذنبــه

قال القزويني:

يُدفن في قرية، فلا يَقربها الذباب"[١].

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

إن عُلّق ذنب ذئب على مَعلف البقر، لم يَقربه البتة، ما دام معلقاً، ولو جَهِده الجوع[٢].

وقال في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

من أخذ ذنب ذئب، ودفنه في موضع مصاب، فإنه لا تدخله الذئاب.

تُبخَّر المحموم بشعر ذنب الذئب، فيبرأ[٣]

ذكــره

قال السيوطي في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

تأخذ ذكر الذئب، وتيبسه، وتجعله عندك حتى تريد الجماع، فتأخذ منه مقدار الفولة، وتشويه شيئاً غير دقيق، وتبلعه، فإنه جيد جداً.

من شوى قضيب ذئب في فرن، ومضغ منه مضغة، قوي على الجماع.

---

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥.

(٢) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص٤٤٥.

(٣) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص١٩٩.

إذا أردت أن تعقد المرأة، فلا يطؤها أحد بنكاح ولا بسفاح، فخذ ذكر ذئب، واعقده على اسمها فلا يقوم عليها أحد غيرك[١]

عظمه:

قال القزويني:

يُسحق، ويُذَرّ حول الزريبة، فلا يقربها الذئب[٢].

وقال الدميري:

إذا أخذ عظم من العظام التي تُوجَد في ذيل الذئب، وخدش بها الضِّرس الوَجِع، أبرأه من وقته"[٣].

عينه

عينه اليمنى:

قال القزويني:

من استصحبها، تدفع عنه قوة البله، ولا يفزع في الليل.

عينه اليسرى:

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

من استصحبها، لا يغلبه النوم[٤].

عين الذئب، تمنع من الصرع.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥.

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص ص٣٦، ٣٦٤.

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥.

من عَلق عين ذئب، لا يقربه شيء من السباع والهوام واللصوص.

كما قال:

جلده وعيناه وأنيابه

إذا جُمعت، وحملها إنسان معه، غلب خصمه، وكان محبوباً بين الناس.[١]

مـــرارتـــه

قال كشاجم:

مرارتـــه تُـــداف (أي تُخلط وتمزج) بالـــوَرْس،
ويطلى بهـــا النمش والبهق في الوجه، فيذهب.
تُداف بعســـــل، وتُطلـــى بهـــا على الذكـــر،
وتُجامع المرأة، فتحـــب من يجامعها حباً شديداً[٢]

وقال القزويني:

يُطلى بها الحاجبان، يَبقى المرء مكرَّماً بين الناس.
تُشَد على الفخذ اليمنى، فتزيد في قوة الباءة.
يُسقى منها قَدرَ دانق مع حَبَّة المسك للمصروع
الذي يُصرع أول كل شهر، يزول عنه ذلك.
لو احتملتها المرأة العقيم، تحبل، إذا باشرها زوجها.
يُكتحل بها، ينفع من نزول الماء في العين من الغشاوة[٣].

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

---

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص٤٤٥.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص١٠٦.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٥.

تنفع التجمع والكزازة اللذين يتبعان جراحات العصب خصوصاً من البرد.

إذا سُعط منها مَن به النَّزلات العِظـــام من مرارة الذئب، نفعته[1].

كما قال في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

تؤخذ مرارة الذئب، وتخلط مع دهن اللُّوز، وتقطر في الأذن، يذهب الصمم.

إذا أخذت مرارة الذئب، وخلطتها بعسل، وسُقي منها صاحب العطش الشديد، نفعه نفعاً عظيماً.

مَن أخَذ مرارة ذئب، وربطها على فخذه الأيمن، جامع ما شاء ولا يضره.

من جفف مرارة ذئب، ومرارة تيس، وخلطهما بدهن خالص، وطلى به إحليله وما حوله، وجامع به امرأته، فإنها لا تصبر عنه ساعة واحدة.

من أخذ مرارة ذئب، وخلطها بعسل، ودهن بها ذكره وقت الجماع، أحبته امرأته حباً شديداً.

إذا أخذ الإنسان مرارة ذئب، ومسح بها بين ثديي امرأة، أحبته حباً شديداً.

إذا سُقيت المرأة مرارة الذئب بعسل، وهي لا تعلم، ذهبت غيرتها[2].

علاج عضة الكَلب/المكلوب

أما فيما يختص بعلاج عضة الكَلب المَكلوب، (وكذلك الذئب)،

فيقول السيوطي ما يأتي:

تعريف أعراض الشخص المصاب بداء الكَلب:

أن يتغير لونه، ويدلع لسانه، ويشرئب ظفره، ويمتد عنقه، وينحني ذيله، ويكلب نفسه، فتراه يذد بنفسه، ويهرول وهو لا يدري أين هو، وهو لا يشعر بنفسه، فإذا قابله شيء، وله جرم أو شبح، حمل عليه، وعضه؛ فإذا أصاب حيواناً أو شاة

---

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص٣٠٧-٣٠٨.

بأنيابه، أو أظافره حتى قطع الجلد، سرى فيه السم إلى أن يكلب مثله.

وعلامة المَكلُوب أن يُنكر الماء إذا قرِّب إليه، وهو أكبر العلامات فيه وأبينها.

وقيل: المكلوب إذا نظر وجهه في المرآة، رأى وجهه وجه كلب؛ وإذا أكل لقمة، وأُطعم منها الكلاب، لم تقبلها.

أحرق خرقة كتان، وتأخذ رمادها، وتعجنه بسمن وخل، ويوضع على العضة، فإن الوجع يسكن، والورم يخف ويبرأ سريعاً من قبل أن ينكر الماء، فبعد أن يدق، يُكوَى حوالي العضة بالنار، ويُضَمّد بثوم وملح مدقوقين معجونين بعسل يؤخذ عسل منزوع الرغوة، وسمن منقص، ويطلعان على النار، ويطرح فيها من الثوم المقشر المسحوق ناعماً قدراً يقوم فنفعه، ويترك حتى يغلي ويمتزج خاصية الجميع في بعضه بعضاً، ثم يُترك، ويشرب منه فاتراً، يستعمل على الريق.

تأخذ عسلاً ومصطكى، وتخلطهما جميعاً، وتلعقه المعضوض.

إذا كان مربوطاً بالحبل، فخُذ غُبار السماء، وأطعمه له في حبة من كرموس أو ثمرة.

إذا كان رجلاً، أطعم له ثلاث حبات من قمح، وأسقه مرق دجاج من بعده.

إن كانت امرأة، أطعمها حبة ونصف من قمح، واسقها مرق دجاج من بعده.

إن كان صغيراً، أطعمه وزن حبة من قمح، واسقه مرق دجاج من بعده.

إذا عض كلباً، فخذ له حشيشة تُسمَّى الجعدة، وأطعمها له في العسل سبعة أيام على الريق. أو خذ عرقاً يقال له: عرق الثعلب، وهو عرق شديد المرارة، وأطعمه له في العسل سبعة أيام على الريق، ولا يُخالف يوماً من الأيام الذي أكله الكلب.[1]

---

(١) المصدر السابق، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.

المصطكى، والمصطكا، والمصطكاء: العلك الرومي، ليس من نبات أرض العرب.

وانظر، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ص ١٩-٢٠.

الخرافات الشعبية

الرُّقى:

رأينا فيما سبق كيف أن التفكير الشعبي العربي ورث مفاهيم خاصة عن أجزاء الذئب نُسب لها قوة سحرية وتأثير خاص، هما بالتأكيد ليسا وليدَي مرحلة متأخرة، أنما جاءا من أعماق الضمير الجمعي العربي قبل الإسلام، وأخذا يتكيفان مع الأوضاع المتأخرة.

ولكن التفكير الشعبي الذي احتفظ بكل تلك الاعتقادات، احتفظ بأمور، خرافية لا تتّفق هي أيضاً مع أوضاع الدين الجديد، إذ يحدثنا أبو العباس أحمد بن علي البوني (ت ٦٢٢ هـ) عن رُقية يقول عنها:

"من كتبها على جلد ذئب مدبوغ، ودفنه تحت عتبة دار أو مدينة، لم يدخل ذلك الباب كلب ما دام الجلد مدفوناً".

والرقية هي: "مزجل برجل ترقب برهش غلمش خوطير".[1]

وهناك صورة الأسماء التي رسمها الخيال الشعبي على عصا موسى للتغلّب على "الوحوش الضارية"، و"السباع"، ويندرج في هذه الذئاب، والتي يقال: إن:

"من كتبها في شرف الشمس، أو شرف المشترى بماء المرسين وماء الحبق الهندي، وماء كزبرة البئر، وماء الخلاف، وماء الورد والزعفران، في رق غزال، ويُبخر وقت الكتابة برائحة طيبة وجوف عصابته، وأدخل فيها الأسماء، وختم عليها بشمع عروس بكر، فإن كان في مكان مخيف، وظهر عليه .... أو شيء من الوحوش الضارية المؤذية، يَضرب بالعصا في الأرض ثلاث مرات. وقال: اللهم، إني أسألك ببركة هذه الأسماء العظيمة التي كانت على عصا موسى بن عمران عليه السلام،

---

(١) أبو العباس، أحمد بن علي البوني، منبع أصول الحكمة (القاهرة: مطبعة عباس عبدالسلام بن شقرون، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ص ٧٠.

وضرب بها البحر، فانفلق، وكان كل فرق كالطود العظيم، أن تحبس عني كذا وكذا، وذكر ما يريده من توقيف .... أو سباع، ثم قال: "قفوهم إنهم مسؤولون"، فإنهم يقفون، بإذن الله تعالى".[١]

وهذه الأسماء هي:

"فَيوخ فادخ قَيوم قادر شليوخ شالخ دَيُوم صَالِح وُرِ صَادقِ أرشح شليوخ شالخ نار مَتُوخ يادخ شامخ عظيم رحماً قادر نُوخ كلوشِ أوِ يايوِ شاه شلوش وهدخ شراهيا شَرُوش شُوش عالِ عَلي قويِ نادي كبيراً".

وكانت مكتوبة بأحرف عبرانية قديمة.[٢]

بل إن أبا العباس ينقل لنا صورة رسم سحري ذي تأثير في الذئب، يقول عنه:

"من رسم الوفق الآتي في كاغد أو رَق، أو نقشه في خاتم، ولازم على ذكر هذا البيت، أطاعه جميع الخلق من مغرب الأرض إلى مشرقها، حتى الحيوانات غير الناطقة كلهن تخضع لحاله، وتنعقد الألسن عنه، ولا يقربه سبع، ولا ذئب، ولا حية"[٣].

وهكذا، تتراكم المواد الشعبية، التي جاءت على نسق ما ذكره ابن قتيبة، مما هو معتقد أنه موروث شعبي عربي قديم، ظلت الأجيال تتناقله، حتى دوّنه المتأخرون، فمن هذا ما ذكره عبد الفتاح السيد عبده الطوخي، في كتابه: العفاريت والجن:

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥. وعلى الرغم من أن هذه الخرافات قديمة متداولة، فإنه لا يمكن التعويل على صحتها، لأنها لا تساغ عقلاً، ولم تقرّ شرعاً.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥. ولا شك أن هذا الكتاب باطل في المعتقد الشرعي، وخرافي في الممارسة الاجتماعية؛ ومثل هذه الصورة وهذا الكلام، لا أساس علمياً له، وإنما صورناه هنا، لإعطاء القارئ نموذجاً من نماذج الممارسات الخرافية في المجتمع القديم.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

ذكره ومراراته:

من أخذ معه قطعة من ذكر الذئب ومرارته، على فخذه، فإنه لا يَفتر عن الجماع، ولا يضعف عنه.

ذكره (فقط):

من أخذ قضيب الذئب وعقد في طرفيه، باسم إنسان، ورماه في بئر عاطلة، فإنه ينعقد.

جلد رقبته:

من أخذ سلخ رقبة الذئب، وعمل منها طبلاً، وضرب بها بين الطبول تشققت.[1]

وواضح أن استخدام الرُّقى السحرية، لم تكن حديثة العهد بالنسبة للعرب، فقد عرفها العرب منذ الجاهلية، كان فيهم الكهنة والعرّافون والطرّاقون بالحصى ـ والخطّاطون في الرمل، والذي يتضح أن العرب استمروا في استخدام الرقى السحرية بعد أن استبدلوا الخطوط والخربشات، أو الكتابة الوثنية، أو الدينية المتأثرة باليهودية أو النصرانية ـ مفردات إسلامية، أو حتى كتابات قرآنية. فهذا أحمد الديربي ينقل لنا الحكاية التالية: "منقولة عن بعض الصالحين أنه قال:

خرجت يوماً إلى البرية، فوجدت شاة وعندها ذئب يلاعبها ولا يضرها، فلما قربت منها، هرب الذئب، فامسكت الشاة، فوجدت في عنقها كتاباً مربوطاً، فأخذته، وفتحته، فوجدت فيه هذه الآيات، وهي:

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ١٤]، ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٧]، ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا

---

(١) عبدالفتاح السيد عبده الطوخي، العفاريت والجن، (القاهرة: مطبعة حسان، د. ت) ص ص ١٧٠- ١٧١. لاحظ أن الاعتقاد في إطالة الجماع، متأثر بتعاضل الذئاب.

مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر: ١٧]، ﴿وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الطارق: ٤]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ١٢-٢٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۖ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢١]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: ٦]، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ق: ٤]، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ق: ٣٢]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠]»[1].

وليس أدل على أن هذه الخرافات الشعبية، أو التأثيرات السحرية، التي اتَّخذت صوراً دينية، مزَجها العقل الشعبي بالتصورات الدينية غير الإسلامية - وإن كان بعضها اعتمد الآيات القرآنية — هو جزء من التراث الأدبي للعرب من أن السيوطي ينقل لنا بعض ذلك، فيقول:

"لطرد الذئاب:

تكتب في أربعة شقاف حمر فخار، وتدفنها في أربعة أركان:

"سيهزم الجمع — إلى — وأمر".

"ويخربون بيوتهم — إلى — الجلاء".

---

(١) أحمد ديربي، تجربات ديربي (بومبي: مطبعة محمدي بومبائي، ١٣٧٢هـ)، ص ٤٦.

"كأنهم حمر – إلى – قسورة".

"وتحسبهم – إلى – شتى". [١]

ويقول:

لترحيل الذئاب:

تكتب هذه الأسماء في شقفة فخار غير مطبوخ، وادفنها تحت الأجياح، فإنها ترحل، ولا يبقى منه شيء، وتدفنها في محل عمل:

﴿ انفِرُوا خِفَافًا ﴾ [التوبة: ٤١].

﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [الاحقاف: ٢٥].

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر: ٤٦].

حـ١١١ و ٢١ ط هـ ٥ طاء ١١ م ١١١ طلل

كـــــل كـــه ١١١ ط للـــــــه". [٢]

ويذكر السيوطي ثلاثَ رُقى لعلاج الكَلَب، هي:

علاج عضة الكلب برقية: تكتب في يد البقر المسوس، ويفطر عليه سبعة أيام، يطعم قبل أن يمسه الكلب، وهي هذه الأسماء التي تكتب: توسم عجليم ٢ لطول كفة قريم نتقف لشرناب طويم، وكذلك له هذه الأسماء والزبد يفطر عليه ثلاثة أيام يبرأ بإذن الله تعالى، وهذا ما تكتب: برش٢ أقواش٢ أقش٢ الموز٢ اهون٢. اهـ. وما يكتب في حرز ويعلقه على المعضوض في عنقه، وهو هذا: ابزيق٢ انده زنده شارا قف جارار عج ممروح، وهذه الأسماء الأخر تكتب في سبع قرص، يفطر كل يوم على واحدة، و هي هذه الأسماء: فيلكم فالنبدنا فاعرفر محمد ما انبدوا شرت قمندا عبدناء عقدناء حجرا امرجوا فقلت اخرج ريقط يا كذا وكذا من علة نزلت بك من علة الكلب المسعور بلا حول الخ.

---

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

علاج عضة الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث في خبز شعير غير مقلي، وتكون طحنته بنت لم تبلغ الحلم، ويطعم ثلاثة أيام، وتكتب حول الخاتم(ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى، ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) إلخ، وتكررها٣.

علاج عضة الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث بكماله على خمسة أقراص، وتكتب على الأولى: الألف والطاء على ترتيب أبجد، وعلى الثانية: الجيم، وعلى الثالثة: الهاء والدال، وعلى الرابعة: الزاي وما بعدها إلى الواو، وعلى الخامسة: الطاء وما بعده إلى الحاء على الترتيب، ويقرأ عليها آية الكرسي[١].

الذئب في الأحلام

بلغ من تأثير الذئب على الإنسان وقوة شخصيته أن تغلغل إلى أعماق اللاشعور، فلم يعد الأمر مقتصراً على الرسم والنحت والتصوير والتداوي، بل أصبح يمثّل صوراً مرموزة في الحياة التي يعيشها الإنسان وترتبط بالذئب ارتباطاً قوياً. فمن تفسيراتهم لرموز الذئب في الأحلام:

أن رؤيته تدل على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم الذئب في الرؤيا لص غشوم ظالم.من رأى جرو ذئب، فإنه يربي لصاً لقيطاً إن تحول الذئب حيواناً إنسياً كالخروف،وشبهه، فإنه لص يتوب.من رأى ذئباً داخل داره، فليحذر اللصوص.من رأى ذئباً، فإنه يتهم إنساناً،ويكون المتهم بريئاً.من رأى ذئباً وكلباً اتفقا واجتمعا، دل على النفاق والمكر والخديعة.[٢]

---

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص ٣٦٤.

وقال الحسن بن البهلول:

"لبن الذئبة ... خوف شديد"[١]

كما قال:

" الذئب سلطان غشوم، لص، ضعيف كذلك؛ وشرب لبنه خوف"[٢].

الذئب في السياسة

كما دخل الذئب في الأساطير والخرافات، وتغلغل في التفكير الاجتماعي للإنسان منذ العهود الغابرة، احتل مركزاً بارزاً في التوجهات السياسية للبشرية.

واستخدم الذئب في التعبير سياسيّاً بمواقف هزلية ساخرة مضحكة ضد السلطة، حين حكوا عن دخول الذئب الجنة؛ لأنه أكل ابن شرطي، وتمنّوا أن يكون قد أكل ابنه، ثأراً منهم لما يُلاقونه على يد الشرطة في ذلك الزمان، ورأوا أنه لو فعل ذلك، لكان "رُفع في عِلّيين"[٣].

ونجد الذئب في الأزمنة الحديثة نموذجاً سياسياً، شمل تصوير السَّفاحين في شكل ذئب (هتلر مثلاً – العم الذئب) كما برز في فترات الصراع الطبقي في الأعمال الأدبية والفكرية (الرواية...).

ولم يخل الأدب من استغلال الذئب رمزاً سياسياً اجتماعياً، كما هو الحال في كتاب كليلة ودمنة، في قصة "الذئب ووتر القوس"[٤].

---

(١) الحسن بن بهلول، الدلائل، تحقيق: يوسف حبي (الكويت: معهد المخطوطات العربية، ط١، ١٩٨٧م) ص ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٣٦١.

(٤) عبدالله بن المقفع، كتاب كليلة ودمنة، تحقيق: فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، ١٩٨٠م) ص ١٤.

ولكن أشهر موضع احتله الذئب في السياسة العربية ، أنه كان رمز بسط الأمن والسلام، أي تحقيق العدالة والمساواة بين القوي (الذئب) ، والضعيف (الخروف) ؛ فقد سبق أن مَرّ بنا قول ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

لـو تُقَفّـي وتَترُك النـاسَ كانـوا غَنَـم الذئـب غـاب عنهـا الرِّعـاء

ويقول الكميت بن زيد الأسدي، يمدح محمد بن سليمان الهاشمي:

تَلقـى الأَمـانَ علـى حِياض محمـدٍ ثُـولاءُ مُخْرِفَـةٍ وذِئْـبٌ أَطْلَـسُ

لا ذِي تَخـافُ ولا لِهـذا جُـرْأَةٌ تُهـدى الرَّعِيَّـةُ مـا اسْتقـامَ الرَّئِـس[1]

وقد عبّر الناس عن مواقفهم السياسية بقول أحدهم:

وراعـي الشـاة يحمـي الذئـب عنهـا فكيـف إذا الرعـاة لهـا ذئـاب[2]

أما التعبير عن حالة الفوضى بشكل عام، فنجده في قول القائل، مستخدماً المثل: "إن الذئاب قد اخضرّت برائنها":

إن الذئـاب قـد اخضـرّت برائنهـا والنـاس كلهـم بَكـر إذا شبعـوا[3]

---

(١) الزبيدي، التاج، "خرف". الثولاء: النعجة بها ثول. المخرفة: التي لها خروف يتبعها، مولود في الخريف.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٣٦٣.

(٣) الأشناندانى، معاني الشعر، ص٦١. أي: أن الذئاب – وهم القوم المغيرون – شبّههم بالذئاب، بختلهم وحرصهم على الغارة. واخضرت برائنها: أي أن الأرض قد أخصبت، وكثر العشب فيها، وأمكن الغزو، فالأقدام مخضرة، جعل الأقدام برائن. وقوله: الناس كلهم بكر إذا شبعوا: لشدة عداوة بكر لتميم، وأكثر مغازاة. أي: إذا شبع الناس، فأخصبوا، فعداوتهم كعداوة بكر بن وائل.